

البيان والتبيين

مقتدرا) مع ان امرا لم يكن منها في حيرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحتة من سرائها ظهرا ولم تطله غيئة رجاء الا اهطلت عليه مزنة بلاء وجرى اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له خاذلة متنكرة وان جانب منها اعذوب واحلولى امر عليه جانب واوبى وان أتت امرا من غضارتها ورفاهتها نعماً ارهقتة من نوائبها نقما ولم يمسه امرؤ منها في جناح أمن الا اصبحت منها على قوادم خوف غرور ما فيها فان ما عليها لا خير في شيء من زادها الا التقوى من اقل منه استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه ويبكي عينيه .

كم واثق بها قد أفجعتة وذي طمأنينه اليها قد صرعتة وذي اختيال فيها قد خدعتة وكم من ذي أبهة بها قد صيرتة حقيرا وذي نخوه قد ردتة ذليلا وكم من ذي تاج قد كبتة لليدين والفم سلطانها دول وغيثها رنق وعذبها أجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام وأسبابها رمام وقطافها سلع حياها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ومنيعها بعرض اهتضام مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدي الحكم العدل (ليجزي الذين اسأؤوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى) .

ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعمارا وأوضح منكم اثارا واعد عديدا واكثف جنودا واعند عنودا تعبدوا للدنيا اي تعبد واثروها أي إيثار وطعنوا عنها بالكراه والصغار فهل بلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفسا بفسدية او أغنت عنهم فيما قد اهلكتهم بخطب بل قد أرهقتهم بالفواح وضععتهم بالنوائب وعقرتهم بالمصائب وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وأخلد اليها حين طعنوا عنها لفراق الابد الى آخر المسند هل زودتهم الا الشقاء وأحلتهم الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او أعقبتم الا الندامة أفهذه تؤثرون أم على هذه تحرصون أم اليها تطمئنون يقول [] (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها باطل ما كانوا يعملون) .

فبئس الدار لمن أقام فيها فاعلموا وانتم تعلمون انكم تاركوها لا بد فانما